وفضلا لما يقوم به الكاتب من تحليل مسؤولية كل من ديان وجولدا مائير والقادة أمثال اليعازار وجونين وشارون ، بخبرة يخرج بعدة استنتاجات اساسية • منها انه لا يجوز لاي حكومة اسرائيلية في المستقبل أن تسمح للعرب باختيار الضربة الاولى، وان كثافة السلاح قد تلعب دورا رادعا في الشرق الاوسط ، وان العرب قد استعادوا كرامتهم وشرفهم القومي مما قد يسهل اجراء مفاوضات بين الطرفين •

يبدو ان شئون الحرب والنصر والهزيمة من اصعب الموضوعات على المعالجة الموضوعية النزيهة ، وبالاخص اذا كان الباحث ينتمي الى احد اقطاب الصراع ، اذ غالبا ما تتغلب الاعتبارات العاطفية – او قل غير الموضوعية – لتكون تقييمه ووجهة نظره للامور • ونفس الظاهرة لا شك نشاهدها في كثير مما كتب عن حرب اكتوبر – رمضان – من وجهة النظر العربية • على اية حال فان كثيرا من الكتابات التي صدرت عن الجانبين (الاسرائيلي والعربي) لا ترقى الى مستوى ما صدر عن مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية •

ولوحظ كذلك أن هرتزوج قد بالغ في عرضه لسير المعارك على كل جبهة على حدة بصورة جسمت الانفصال بين القيادتين العسكريتين السورية والمصرية • وقد وقع في نفس هذا الخطأ كثير من الكتب العربية التي عالجت الموضوع (باستثناء كتاب الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة • وقائع وتفاعلات ، الصادر عن مركز الابحاث الذي اعتمد التسلسل الزمني وليس التقسيم الجغرافي اساسا لتتبع ايام القتال) ، علما بأن معالجة الحرب على هذا النحو يوحي بغير الواقع الاستراتيجي الذي تلتزم به اسرائيل فهي تحارب المعركة بقيادة واحدة وان تعددت الجبهات ، في حين ان العرب يحاربونها بقيادات متعددة بتعدد الجبهات •

وزيادة على ذلك يلجأ الى مخاطبة القارىء الغربي ، بل يحاول تحريض امريكا واوروبا الغربية ضد العرب بحجة انهم كانوا مسلحين بالعتاد السوفييتي ، وان القوات الاسرائيلية حين حاربت العرب كانت تدافع عن ما هو اكثر من حرية ووجود اسرائيل وحدها • ويدعى أن حرب الشرق الاوسط اكدت كم يهدد الاتحاد السوفييتي العالم الغربي بسبب تفوق انتاجه من الدبابات على انتاج الاخير •

كما نلمس ايضا بعض السموم النفسية التي يحاول المؤلف دسها في كتابه حين يتحدث عن أن امكانيات الجيش المصري في القتال باقتدار قاصرة على الدفاع او القتال الهجومي المخطط بدقة ، أما القتال الهجومي في مواجهة التغيرات السريعة فانه فوق طاقة قيادته ، أو حين يقول انه لم تكن هناك ضرورة لذلك التمجيد المفرط في شجاعة السوريين رغم انه يعترف بأنهم قاتلوا بجسارة لا بأس بها • وكم كان هرتزوج متجنيا على الحقائق التي كشفت عنها معارك الدفرسوار وجبل الشيخ •

والاكثر مدعاة للدهشة اننا نجد هرتزوج يحاول ان يقابل بهز الاكتاف الجناح العسكري العربي حين يثير نظرية « الظروف الصعبة » التي حارب فيها الاسرائيليون • فهم في نظره « قد هرعوا لتوهم من المعابد الى ميدان القتال تحت المفاجأة » ، بل اننا نجده يردد نفس هذا المنطق فيما كتبه مؤخرا عن وجهة النظر الاسرائيلية من اتفاقية سيناء (انظر الهيرالد تريبيون الامريكية ٩ سبتمبر ١٩٧٥) حيث يصور « ان الاسرائيليين قد حققوا اعظم نصر صاعق في الصراع العربي – الاسرائيلي لانهم قاتلوا في ظروف صعبة ومعاكسة » •

والواقع ان المحللين العسكريين لو اخذوا بهذا المنظور « الظروف الصعبة » لتبرير هزيمة طرف امام اخر ، لجردنا التخطيط العسكري من محتواه الاستراتيجي الذي يفترض ان كلا الطرفين يتعمد شن الحرب في ظروف ملائمة له ومناوئة لخصمه •

مهما يكن من امر ، فان هذا لا ينفي أن المؤلف قد طرح في كتابه بعض الافكار الصائبة والاستنتاجات الجديرة بالتأمل والاهتمام • فهو يدين تاريخيا القيادة الاسرائيلية التي ضيعت على اسرائيل مركزا متميزا من القوة كانت تستطيع من خلاله أن تتفاوض من اجل المستقبل وسوف تدفع